2026 شبـــاط مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12A
February 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

مظاهر التطور العمراني في العراق خلال العصر العباسي الأول(132 – 232هـ/ 750 – 847م)

م . م اثير سعد صبر محمد العجيلي
جامعة واسط – كلية التربية الأساسية – قسم التاريخ

الملخص
يتناول هذا البحث دراسة مظاهر التطور العمراني في العراق خلال العصر العباسي الأول، بوصفه مرحلة ازدهار حضاري وعلمي واقتصادي انعكس بصورة واضحة على تخطيط المدن ومرافقها الحيوية. ويهدف البحث إلى إبراز دور الخلفاء العباسيين في إنشاء البنية التحتية وتطويرها، ولا سيما الجسور والبيمارستانات والأسواق، لما لهذه المنشآت من أثر مباشر في استقرار المجتمع وتنشيط الحركة الاقتصادية والعلمية. وقد توصل البحث إلى أن الدولة العباسية أولت اهتماماً بالغاً بالتخطيط الحضري، إذ أسهمت الجسور في ربط أجزاء المدن وتسهيل حركة النقل والتجارة، في حين شكّلت البيمارستانات مؤسسات صحية وتعليمية متقدمة أسهمت في تطور العلوم الطبية، أما الأسواق فقد مثلت ركناً أساسياً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وشهدت تنظيماً دقيقاً يعكس تطور الإدارة العباسية وازدهار النشاط التجاري. ويخلص البحث إلى أن التطور العمراني في العصر العباسي الأول كان نتاج استقرار سياسي وازدهار اقتصادي ورعاية رسمية للعلم والعمران، مما جعل المدن العباسية نموذجاً حضارياً متقدماً في العالم الإسلامي.

كلمات مفتاحية : مظاهر التطور العمراني ، العراق ، العصر العباسي

Urban Development in Iraq During the Early Abbasid Era (132-232 AH / 750-847 AD)

A.L. Atheer Saad Sabr Mohammed Al-Ajeeli
University of Wasit – College of Basic Education – Department of History

Abstract
This research examines the urban development in Iraq during the early Abbasid era, a period of cultural, scientific, and economic flourishing that was clearly reflected in the planning of cities and their vital facilities. The research aims to highlight the role of the Abbasid caliphs in establishing and developing infrastructure, particularly bridges, hospitals, and markets, given the direct impact of these structures on social stability and the stimulation of economic and scientific activity. The research concludes that the Abbasid state paid considerable attention to urban planning. Bridges contributed to connecting different parts of cities and facilitating transportation and trade, while hospitals formed advanced health and educational institutions that contributed to the development of medical sciences. Markets represented a fundamental pillar of economic and social life and witnessed meticulous organization reflecting the development of Abbasid administration and the flourishing of commercial activity. The research concludes that urban development during the early Abbasid era was a product of political stability, economic prosperity, and official patronage of science and architecture, making Abbasid cities a model of advanced civilization in the Islamic world.

Keywords: Aspects of urban development, Iraq, Abbasid era

مقدمة البحث

شـهد العصـر العباسـي الأول مرحلـة مهمـة مـن مراحـل الحضـارة الإسـلامية، إذ تميـز بالاسـتقرار السياسـي والازدهـار الاقتصـادي والتقـدم العلمـي، الأمـر الـذي انعكـس بصـورة واضـحة علـى مظـاهر العمـران فـي المـدن العراقيـة، وفـي مقـدمتها بغـداد وسـامراء والموصـل. فقـد أدرك الخلفـاء العباسـيون أهميـة العمـران فـي ترسـيخ هيبـة الدولـة وتعزيـز ازدهارهـا الاقتصـادي والاجتمـاعي، فعملـوا علـى إنشـاء المـدن وتطـوير مرافقهـا الحيويـة وتنظيمهـا بمـا ينسـجم مـع متطلبـات الدولـة المتسعة..

شـهدت المـدن العراقيـة فـي العصـر العباسـي الأول نهضـة عمرانيـة واسـعة نتيجـة عوامـل متعـددة، مـن أبرزهـا انتقـال مركـز الخلافـة إلـى العـراق، وازدهـار التجـارة العالميـة، وتوافـد العلمـاء والحـرفيين والتجـار إلـى المـدن الكبـرى، ممـا اسـتدعى تطـوير البنيـة التحتيـة وتنظـيم الحيـاة الحضرية بشكل متقدم.

ويعـد التطـور العمرانـي أحـد أبـرز مظـاهر الحضـارة، إذ يـرتبط ارتباطـاً وثيقـاً بحيـاة الإنسـان اليوميـة ونشـاطه الاقتصـادي والعلمـي والصـحي. وقـد تجلـى هـذا التطـور فـي إنشـاء الجسـور والقنـاطر والبيمارسـتانات وتنظـيم الأسـواق، وهـي مرافـق أساسـية أسـهمت فـي تسـهيل حركـة السكان وتنشيط التجارة والارتقاء بالمستوى الصحي والعلمي للمجتمع.

وتكمـن أهميـة هـذا البحـث فـي تسـليط الضـوء علـى جهـود الخلفـاء العباسـيين فـي تطـوير العمـران، وإبـراز أثـر هـذه الجهـود فـي ازدهـار المـدن العراقيـة وتحولهـا إلـى مراكـز حضـارية كبـرى. ويهـدف البحـث إلـى دراسـة أهـم مظـاهر التطـور العمرانـي فـي العصـر العباسـي الأول مـن خـلال محـورين رئيسين:

1- إنشاء الجسور والبيمارستانات.

2- تنظيم الأسواق وتطويرها.

اولاً: إنشاء الجسور وبناء البيمارستانات.

ومـن المنشـآت العمرانيـة التـي مثلـت صـورة مـن صـور التطـور العمرانـي فـي العصـر العباسـي الأول بنـاء الجسـور, وقـد جـاء الاهتمـام بالجسـور بعـد بنـاء بغـداد؛ لاتسـاع النشـاط التجـاري والاقتصـادي والثقـافي, وتوسـع المدينـة, ومحاولـة ربـط الجانـب الغربـي بالشـرقي داخـل المدينـة, كـل هـذه المعطيـات ألقـت المسـؤولية علـى عـاتق الخلفـاء العباسـيين لتنظـيم المدينـة وبنـاء الجسـور وإنشائها.

وقـد اتخـذت الهندسـة العمرانيـة للجسـور فـي ذلـك العصـر أنماطـاً متقاربـة, فكانـت عبـارة عـن زوارق خشـبية يصّـف عليهـا ألـواح مـن الخشـب مثبتـة علـى شـكل خـط مسـتقيم، محفوفـة مـن جانبيهـا بسلاسـل أو حبـال قويـة موصـولة مـن الجـانبين بأوتـاد خشـبية مثبتـة فـي الأرض تسـمى قاعـدة أو كرسي الجسر[1].

وقـد خلـد أبـو جعفـر المنصـور اسـمه فـي مجـال عمـارة الجسـور وإشـادتها, فقـد بنـى العديـد مـن الجسـور, منهـا عقـده ثـلاث جسـور لمدينتـه المـدورة, أحـدها للـذهاب, والأخـر للإيـاب, وفـي وسـطهما

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص189؛ العلي، معالم بغداد، ص294.

جسر خاص بالنساء[1], وأقام الجسر الأول جسر الرصافة على نهر دجلة بعد بناءه لبغداد؛ لكي يربط الجانب الشرقي بالغربي[2].

وكانت الطبيعة الجغرافية لمدينة بغداد في كونها قرب الضفة الغربية لنهر دجلة، قد استدعى بناء هذه العمارة, ليسهل انسيابية الانتقال بين جانبيها, وبمرور الوقت تطورت عمارتها, وتحولت إلى الجانب الشرقي المسمّى بالرصافة، فأصبحت على جانبي نهر دجلة الشرقي والغربي, فكان من الضروري تأمين وسائل الاتصال بينهما[3].

ولم تنشأ عليه الأسواق الكبيرة بسبب استخدامه لنقل الجند وللأغراض العسكرية[4], وبعد إنشائه لقصر المنصور قرب دجلة مدّ جسراً من جهة باب خراسان, وهو جسر الإياب, وربط مدينته بالجانب الشرقي (الرصافة)[5], ويبدو أنّ هدف المنصور من اقامة هذا الجسر تسهيل أمر انتقال الناس بين الجانبين, وكذلك لتحاشي مرور الناس بالمدينة المدورة قرب قصور الخليفة وأولاده, كما حقق من ذلك غرضاً تجارياً يخدم من خلاله أصحاب المهن[6], كما عقد المنصور جسر له ولأولاده, وجسر للقادة والحاشية عند باب البستان في بغداد[7].

ولم يقتصر بناء الجسور على المنصور, فهذا الخليفة المهدي قد خلد اسمه في هذا المجال بعقد جسرين بالزندورد[8], وكذلك الرشيد أنشأ جسرين عند باب الشماسية[9], كما عقدت السيدة زبيدة جسراً لتخلد ذكرها وتعده من أعمال البر عند سويقة قطوطة[10].

ولم تقتصر الحركة العمرانية على بناء الجسور؛ فنتيجة للكثافة السكانية لمدينة بغداد, فقد بنيت فيها العديد من القناطر[11], وكان أوّل قنطرة في بغداد هي قنطرة الرومية[12], إذ عملت على تخفيف الزخم الحاصل على الجسور, كذلك اعتمد العامة في تنقلهم بين جانبي بغداد على الزوارق النهرية[13].

---

(1) ابن الفقيه الهمذاني,بغداد مدينة السلام,ص55؛الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج1, ص131.
(2) اليعقوبي, البلدان, ص353.
(3) اليعقوبي, البلدان ، ص44.
(4) العلي, معالم بغداد الادارية والعمرانية , ص302.
(5) الاصطخري, المسالك والممالك, ص82.
(6) العلي, معالم بغداد الادارية والعمرانية,ص303.
(7) ابن الفقيه الهمذاني, بغداد مدينة السلام,ص55؛الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد, ج1, ص131.
(8) دَيرُ الزَّنْدَوَرْد: هو في الجانب الشرقي من بغداد، وحدّها من باب الأزج إلى السفيعي، وأرضها كلّها فواكه وأترج وأعناب, وهي من أجود الأعناب التي تعصر ببغداد، وفيها يقول أبو نواس:
فسقّني من كروم الزّندورد ضحى ... ماء العناقيد في ظلّ العناقيد
ينظر: الخطيب البغدادي, المصدر نفسه, ج1, ص116؛ الحموي,معجم البلدان ج 2, ص513 .
(9) الشَّمَّاسِيّةُ: منسوبة إلى بعض شمّاسي النصارى: وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية، وفيها كانت دار معزّ الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه، وفرغ منها في سنة (305 ه/917م)، وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم، ومسنّاته باقٍ أثرها, وباقي المحلة كلّه صحراء موحشة, يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس، وهي أعلى من الرّصافة= =ومحلة أبي حنيفة. ينظر: الخطيب البغدادي, المصدر نفسه, ج1, ص116؛الحموي,المصدر نفسه, ج 3, ص361.
(10) الطبري, تاريخ الرسل, ج3, ص1730.
(11) القنطرة: ما يبنى على الماء، للعبور عليه، والجسر أعم منه، لأنه يكون بناء وغير بناء. العسكري, معجم الفروق اللغوية, ص: 163.
(12) اليعقوبي, البلدان, ص244.
(13) الخطيب البغدادي,تاريخ بغداد, ج1, ص117.

أيضـاً كـان لمدينـة سـامراء حصـة فـي التطـور العمرانـي فـي مجـال تشـييد الجسـور, فأنشـأ المعتصـم بـالله جسـراً فيهـا ليـربط بـين جانبيهـا, وذلـك لمّـا فـرغ مـن توزيـع الإقطاعـات, ووضـع مخطط المدينة في الجانب الشرقي لنهر دجلة[1].

ومـن الجـدير بالـذكر أنّـه مـن خـلال البحـث فـي المصـادر التاريخيـة اتضـح لنـا أنّ بعـض الجسـور انشـأت لأغـراض عامـة لتسـهيل انسـيابية حركـة النـاس وراحـتهم, ولأغـراض تجاريـة, وبعضـها لأغـراض خاصـة تتمثـل بـالأغراض العسـكرية, ونقـل الجنـد, فخـدمت الجسـور كافـة الفئـات فـي المجتمع وقتذاك.

كمـا سـاهم الخلفـاء العباسـيين ببنـاء البيمارسـتانات وتطويرهـا حيـث أهـتم الاسـلام بالجانـب الصـحي للأفـراد لمـا لـه مـن انعكاسـات ايجابيـة علـى المجتمـع واسـتقراره, فشـجع علـى انشـاء مراكـز تعنـى بـذلك, ومنهـا مـا عـرف بـ " **البيمارسـتان** "[2]؛ وقـد أُطلِقَـت هـذه اللفظـة علـى المستشـفيات فـي العصـور الإسـلامية وأخـذت أحيانـاً تسـمية أخـرى، هـي دار الشـفاء ولقـد انتشـرت البيمارسـتانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي"[3].

وتُعـد البيمارسـتانات الإسـلامية ذات طـابع تعليمـي تطبيقـي بالدرجـة الأولـى، لـذا نسـتطيع أن نقـول أنهـا مثلـت مؤسسـة أكاديميـة علميـة مثـل المراكـز الطبيـة فـي هـذا العصـر، وقـد سـاهمت بتخـريج عـدد كبيـر مـن الأطبـاء والممرضـين المهـرة، ففيهـا يـتم تعلـيم طالـب الطـب، حيـث كـان الأطبـاء يشـاركون طلبـتهم فـي الحيـاة اليوميـة، فكـان الطبيـب موظفـاً فيهـا, مـدرباً لطلابـه، وقـد " **شـهد الغربيـون بـأنّ طـب البيمارسـتانات الإسـلامية كـان يمـارس وسـط ازدهـار علمـي غيـر مسـبوق، وعـرف مـن وظـائف البيمارسـتانات تخـريج جهابـذة الطـب الإسـلامي فـي شـتى فـروع الطـب، وهـي المكـان الخـاص لحفـظ ابتكـارات الأطبـاء, وتطـوير اختراعـاتهم الطبيـة, والحفـاظ عليهـا، فيهـا يتنـافس الأطبـاء مـن أجـل مصـلحة العامـة فيمـا بيـنهم** "[4].

واذا مـا تتبعنـا تـاريخ نشـوء المراكـز الطبيـة فـي العصـر العباسـي الأوّل نجـد أنهـا لـم تكـن بـالحجم الـذي أصـبحت عليـه فـي العصـور الأخـرى؛ حيـث لـم تـذكر المصـادر إلّا الشـيء القليـل الـذي خلّـد ذكـر الخلفـاء بهـا؛ لقلتهـا كاهتمـام أبـي جعفـر المنصـور بتطـوير البيمارسـتانات[5], وكمـا اهـتم بإنشـاء دور للأيتـام والمعـاقين, وخصـص مكانـاً للمجـانين, يتلقـون فيـه العنايـة والعـلاج[6], وتبعـه فـي ذلـك ولـده الخـليفـة العـباسي المـهـدي فـأمر أن تعطـى الأمـوال وتـوزع علـى المجذومين وأهل السجون في الأفاق[7].

والظـاهر أنّ تمويـل هـذه القضـايا كـان مـن بيـت المـال؛ فحـديث السـابق الـذي ذكـره الطبـري لـم يكشـف إن كـان المهـدي قـد أوقـف شـيئاً لضـمان وجـود العوائـد الماليـة التـي تكفـل تسـديد تلـك الرواتـب شهرياً, وغالباً ما تكون مرتبطة بالظروف السياسية, وتنتهي بانتهاء أسبابها, وبانتهاء اصحابها.

وفـي عهـد الرشـيد شـهد العصـر العباسـي تطـوراً فـي المجـال الصـحي, حيـث أبـدى اهتمامـاً كبيـراً لتشـييد البيمارسـتانات, فخلـد اسـمه فـي هـذا المجـال بإنشـاء بيمارسـتان امتـاز بـالتنظيم والدقـة

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص64.

(2) البيمارستان ,لفظـة فارسـية الأصـل مُركّبـة مـن كلمـة" بيمـار " وتعنـي مـريض أو مُصـاب، و"سـتان "وتـأتي بمعنـى دار, وبهـذا يكـون معنـى" بيمارسـتان" " دار المرضـى"، واختُصِـرَت فيمـا بعـد فـي الاسـتعمال فأصـبحت تُلفَظ مارستان. الزبيدي, تاج العروس, ج16, ص500؛ عمر, معجم اللغة العربية المعاصرة, ج1, ص274.

(3) الكتاني, محمد عبد الحيّ، التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية، ج1, ص297.

(4) البابا, مؤمن أنيس، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، ص45 - ص47.

(5) ابـن ابـي اصـيبعة, عيـون الانبـاء, ص188 .ينظـر: شياع,اسـماء عبدعون,الرعايـة الاجتماعيـة فـي العصـر العباسي الاول,مجلة العلوم الاساسية,جامعة واسط,العدد الخامس,2022.

(6) ابن خلكان, وفيات الأعيان, ج2, ص314.

(7) الطبري, تاريخ الرسل , ج8, ص142.

على طراز البيمارستان الفارسي, واستقدم له الاطباء[1], من جند نيسابور[2], وألحق به مكتبة علمية واسعة, وكان الطبيب جورجيس بن بختيشوع[3] يتولى أمر رعاية المرضى فيه, وأوكلت فيه للعبيد مهمة تقديم الخدمات والتمريض[4], وكان جورجيس ذا خبرة بالطب, وأنواع العلاج, وكان رئيساً لأطباء جند نيسابور[5], كما أسس الرشيد بيمارستان بغداد[6], وأوكل الإشراف على البيمارستان الى ماسويه[7] والد يوحنا, حيث كان ماسويه تلميذاً في جند نيسابور ثلاثين سنة كثير التجارب فطنا للعلاج من اوفر الناس واعرفهم بالكحل[8].

وهناك بيمارستانات أخرى شيدت في المدينة, خلّد لنا التاريخ ذكر بعضها, منها بيمارستان البرامكة الذي تولّى إدارته خيرة الاطباء [9].

أيضاً خلّد المؤرخون اهتمام المأمون العباسي بالطب, وسعيه لرفع المستوى العلمي للأطباء وتلاميذهم, فألّف يوحنا بن ماسويه[10] العديد من المصنفات, منها كتاب الكامل, وكتاب الصداع, وغيرها الكثير[11].

كما أهدى الخليفة المعتصم ليوحنا بن ماسويه قرداً ليستفاد منه في التشريح, فكان العصر العباسي يحتضن طلبة العلم الذين كانوا يدرسون على يد أمهر الأطباء, اضافة الى ذلك لا يسمح إلّا لذوي الخبرة والكفاءة لممارسة مهنة الطب في العصر العباسي.

وخلاصة الحديث أنّ عناية الخلفاء بتشيد البيمارستان ونفقاتهم الكثيرة على هذا الجانب وعنايتهم بالايتام والمعاقين والمرضى خلد ذكرهم عبر العصور لما له من اهمية انسانية كبيرة اضافة الى ماله من الدور الكبير في إعداد كوكبة من الإطباء, ذاع صيتهم, وأدّوا دوراً كبيراً في الحياة العلمية والعملية.

ثانياً: تنظيم الأسواق وتطويرها.

من بين المرافق الحيوية المهمة التي لا غنى عنها بحال من الأحوال الأسواق, ولم تكن الأسواق العربية القديمة مجرد أماكن يتمّ فيها التبادل التجاري من بيع وشراء، بل اكتسبت أهمية أكبر

---

(1) ابن ابي اصيبعة, عيون الانباء , ص302؛ الحموي, معجم البلدان, ج2, ص170.

(2) مدينة بخوزستان, خصبة, كثيرة الخير, بناها سابور بن اردشير, فنسبت اليه, وأسكنها طائفة من جنده مع سبايا الروم, افتتحها المسلمين سنة19 هـ في مدة خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: الحموي, المصدر نفسه, ج2, ص170؛ القطيعي, مراصد الاطلاع, ج1, ص351.

(3) نصراني الاصل, قدم الى بغداد ليعالج الخليفة المنصور, يكنى أبا جبرائيل, هو أحد أشهر أطباء العصر العباسي, خدم الخلفاء الرشيد, والأمين, والمأمون والمعتصم, له كتاب التذكرة, عمله لابنه جبرائيل. ينظر: ابن ابي اصيبعة, عيون الانباء, ص183؛ ابن النديم, الفهرست, ج1, ص413.

(4) الذهبي, تاريخ الاسلام, ج4, ص67.

(5) ابن ابي اصيبعة,عيون الانباء, ص183.

(6) المصدر نفسه, ص243.

(7) كان اعجمي اللسان, يعمل في بيمارستان جند نيسابور , ارسل إليه الخليفة الرشيد للعمل محل جبرائيل بن يختشوع, ونجح في معالجة الرشيد والحاشية, واثبت كفاءة علمية, وصيّره الرشيد نظيراً لجبرائيل في الرزق وعلو المنزلة, واهتم بابنه يوحنا, ووسع عليه. ينظر : ابن ابي اصيبعة, المصدر نفسه, ص242.

(8) ابن ابي اصيبعة, المصدر نفسه, ص242.

(9) ابن النديم، الفهرست، ص315 - ص360.

(10) هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه, كان طبيباً فاضلاً, خدم الخلفاء الرشيد, والمأمون, والمعتصم, والواثق, وصنّف العديد من الكتب. ينظر: ابن النديم, المصدر نفسه, ص254؛ ابن ابي اصيبعة, عيون الانباء , ص246.

(11) ابن النديم, الفهرست, ص354.

من ذلك؛ لكونها مَحفلاً لتجمّع الأدباء والشعراء من أقطار العالم العربي كافة، فالشعر خلّد لنا كثيرًا من أحداث هذه الأسواق؛ حتى أضْحت مَعلَماً مُهماً لم يكن للعرب أحفل منه أدبًا، وحرباً، ومتاجرةً، وسياسةً، ومفاخرةً، وفداءً للأسرى[1].

وقد قدّر العباسيون تلك الأهمية الاستراتيجية للأسواق, ودورها الفاعل في المجال الاقتصادي الذي هو العمود الفقري لنجاح أي نظام سياسي, فضلا عن دورها في تخليد ذكرهم؛ فأنشأوا الأسواق في عاصمتهم, فتحركت مكامن التطور والابداع فيها, وأخذت عجلة التطور تتسارع مطردة باتجاه انشاء أسواق ذات مواصفات عالمية يتوفر فيها كلّ غالٍ ونفيس, كيف لا, وبغداد عاصمة أكبر إمبراطورية في ذلك الزمان, فأستقدم العباسيون الجند من آخر الاصقاع, وصاغت تفاصيلها احذق الايادي العاملة وأمهرها, وقد لعبت دوراً اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً كبيراً إذ عبّرت عن عصر ذهبي مزدهر بالنضج الاجتماعي والاستقرار السياسي الذي كانت عليه الدولة العباسية.

ولأهمية الأسواق في الحياة العامة فقد استحدث وظيفة والي السوق أو صاحب السوق, وهو من الوظائف الدينية المهمة في العصر العباسي, وكان المحتسب يتخذ الأعوان لمساعدته في السيطرة على مراقبة الأسواق وعدم غش البضائع والتلاعب بالأوزان وإخلال النظام بدل الفوضى وإشاعة الأمن[2].

وقد عمل المنصور على اجتذاب التجار للسكن بها, وهيّئ لهم تسهيلات كعامل جذب وترغيب تساعدهم على التعمير والإنشاء, وتمكنهم من الاتجار بيسر وسهولة, كما استقدم أرباب الصنائع والحرف, وأغراهم بالتسهيلات الخاصة بتقليل الضرائب والرسوم[3], وعند بناء الخليفة المنصور لبغداد كانت الأسواق داخل مدينته المدورة, وبعد عدة سنين حوّلها الى ربض الكرخ في سنة (157هـ/773م), فنقل المنصور الأسواق من المدينة المدورة ومدينة الشرقية الى باب الشعير وباب الكرخ, أي: الى سوق الكرخ, وعمل على توسيع أرباض المدينة وطرقها[4] .

ويرى البعض أنّ السبب الرئيسي لهذا التغيير زيارة وفد الروم لبغداد, وبعد تجولهم بالمدينة سأل المنصور البطريق[5] كيف وجدت المدينة ؟ فعبر البطريق عن إعجابه ببغداد إلّا مثلبة واحدة, وهي وجود الأسواق داخل المدينة حيث يستطيع عدوك يخترقك بأيّ وقت, وأخبارك معلنة ومبثوثة, فعلى هذا الأساس نقل المنصور الأسواق, وجعل كل صنف في موضعه[6], في حين ذكر بعضهم أنّ سبب نقل الأسواق هو الدخان الذي تأذّى منه الخليفة, والناتج عنها, فقرر نقل هذه الأسواق[7].

في حين رأى البعض أيضاً أنّ عملية نقل الأسواق جاء بسبب النمو المطّرد نتيجة الهجرات المتزايدة الى بغداد، للعمل في التجارة, وخصوصاً أنّ عملية نقل هذه الأسواق قد تمت في سنة (157 هـ/773م), أي: بعد مرور مدة طويلة نسبياً على بناء بغداد[8], ومنهم من يرى أنّ سبب نقل الأسواق هو شغب الصنّاع لعدم ايفاء المنصور بوعوده المالية لهم, فضلاً عن اجحافه لهم

---

(1) الأفغاني, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام, ص: 193 – ص195.
(2) ابن بسام الشنتريني, نهاية الرتبة في طلب الحسبة, ص73.
(3) بيلياييف, الحالة الاقتصادية, ص11.
(4) الطبري,تاريخ الرسل,ج8,ص52؛ابن عبدون, رسالة في طلب الحسبة, ص50.
(5) البِطريق: القائد لأهل الشام والروم.ينظر: الفراهيدي, العين, ج5, ص257.
(6) ابن عبدون, رسالة في طلب الحسبة, ص50.
(7) الحموي، معجم البلدان, ج4, ص448.
(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد, ج1, ص81. ينظر: المسري، تجارة العراق، ص88- ص89.

بزيادة الضرائب بحقّهم مما ولّد حنقاً وسخطاً ظهر في تصرفاتهم اتجاه السلطة الحاكمة, فتجنباً لصدام محتمل وثورة مرتقبة سارع الى نقل الأسواق[1].

وربما كانت الروايات جميعها صحيحة، وأنّها مجتمعة قادت الى نقل الأسواق الى خارج المدينة المدورة, وبعد أن أمر المنصور بنقل هذه الأسواق الى جانب الكرخ، وقد فرضت ضريبة على هذه الأسواق الجديدة، ثم إنّ هذه الأسواق ضاقت بالناس هي الاخرى فشرعوا في بناء أسواق جديدة، لكنها كانت خارجة عن نظام الصفوف, وقد فرضت الدولة ضريبة على هذه الأسواق لكن بنسب أقل[2], فشُيدت الأسواق في مدينة بغداد المدورة, وجُعلت في طاقاتها الأربع من كلّ جانب سوق[3]، وخُصصت مساحات من الأراضي التي وزّعت حول المدينة لتكون جامعة لكلّ محلّة[4]، فكانت عمارة الأسواق تسير بخط متوازٍ مع عمائر المدينة الأخرى.

وقد حرص الخلفاء العباسيين على بسط النظام داخل الاسواق عبر مايقومك به المحتسب من اجراءات تدعو الى ذلك , وبالرغم من ذلك لم يكتفوا بوظيفة المحتسب، بل إنّهم أخذوا يباشرون بأنفسهم مراقبة الأسواق، مثلما حدث في عهد هارون الرشيد فقد كان الرشيد نفسه يرتدي زي التجار، ويتفقد الأسواق دون أن يعرفه أحد[5].

وكان من مظاهر التطور في مجال الأسواق التي خلدتها لنا صفحات التاريخ, بروز ظاهرة التخصص في مجال المحال التجارية، وقد خلّد اليعقوبي هذا الأمر في كتابه إذ يتحدث عن الوضع التجاري في بغداد, فيقول: " **لكلّ تجّار وتجارة ، شوارع معلومة, وصفوف في تلك الشوارع، وحوانيت وعراص, وليس يختلط قوم بقوم, ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع صنف غيره، وكلّ سوق مفردة, وكلّ أهل منفردون في تجاراتهم**" [6].

فكان لهذا التنظيم الممنهج أثره الواضح في نمو الأسواق في بغداد بشقيها الشرقي والغربي, وتطورها الى حدّ أنها ذكرت في صفحات التاريخ, فنجد المؤرخين يخلدون لعديد من تلك الاسواق, كان من أشهرها سوق الطاق[7], وسوق الرصافة، وهو يقع في الجانب الشرقي, وهو سوق جامع لكلّ أنواع البضائع[8], وسوق الصاغة الذي " **لم يشاهد أحسن منه, بناء شاهق, وأساطين ساج, عليها غرف مشرفة**" [9].

فضلاً عن سوق يسمى بـ "بسوق العطش"[10], وسوق آخر يسمى بـ "**سوق يحيى**" يقع في الجانب الشرقي, يعود الى يحيى البرمكي, أقطعه إيّاه الخليفة الرشيد، ثم صار بعد البرامكة لأمّ جعفر زوج الرشيد[11], فضلاً عن سوق يسمى بـ "سويقة العباسة" أخت الرشيد، وقد ذُكر أنّ الرشيد تزوّج في تلك السوق بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور سنة (165هـ/781م), ثم

---

(1) بيلياف, الحالة الاقتصادية, ص11.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ج 2, ص261.
(3) الطبري، تاريخ الرسل، ج6, ص266؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج1, ص99.
(4) اليعقوبي، البلدان، ص٣١.
(5) التنوخي، نشوار المحاضرة, ج 1, ص158.
(6) اليعقوبي، البلدان، ص37.
(7) الطاق: يقع هذا السوق في الجانب الشرقي من بغداد, وقيل: إنّه يعود الى أسماء بنت المنصور. ينظر: ابن الفقيه، بغداد مدينة السلام, ص55.
(8) الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص24.
(9) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص26 .
(10) سوق العطش كان أكبر محلة ببغداد بالجانب الشرقي, ونهر المعلى بناه سعيد الحرشي للخليفة للمهدي، وانتقل اليه التجار, وقال له الخليفة المهدي عند اكمالها: سمّها سوق الري، فغلب عليها العطش، وسميت بسوق العطش.ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص46؛ الخطيب الموصلي,غاية المرام,ص30.
(11)ابن الفقيه الهمذاني, بغداد مدينة السلام,ص55 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد, ج 11, ص93.

الى سوق خالد, وهي منسوبة الى خالد بن برمك، وكانت اقطاعاً من الخليفة المهدي, ثم بنى فيها الفضل قصر الطين, وكان موقعها في باب الشماسية[1].

وفضلاً عما ذكرنا فكان هناك في عهد الرشيد عدداً آخر من الأسواق, منها سوق الثلاثاء[2], وسوق الحدادين والنحاسين, وسوق الجواهر الذي كان يشع بالأحجار الكريمة المزينة بالفنون العربية, فضلاً عن خواتيم الذهب والفضة [3].

ومن الأسواق الاخرى التي وجدت في بغداد "سوق الوراقين، وسوق العطارين، وسوق البزازين" كما كان هناك سوق فارسية تسمى بـ "جهار سوق", ومعناها الأسواق الاربعة[4].

وهذا جزء من ترتيب الاسواق وهي ظاهرة حضارية سارت عليها الدولة العباسية وتستحق التخليد لما لها من اثار ايجابية على خطط المدينة وعلى المرتادين لهذة الاسواق.

ولم يقتصر تطور الحركة العمرانية للأسواق على العاصمة بغداد بل تعداه ليشمل سامراء بعد ان اتخذها المعتصم عاصمة له سنة (221ه/835م), وكان قد أدرك أهمية وجود الأسواق فيها، ودوها في تخليد الأعمال والانجازات المجتمعية؛ لارتباطها المباشر بحياة المجتمع؛ فحدّد في تخطيطه مكاناً لها، وقد ذكر اليعقوبي أنّه اختط الأسواق حول المسجد الجامع، ووسع صفوفها، وجعل كلّ تجارة منفردة، بحسب أصنافها؛ لتطابق ما رسمت عليه أسواق بغداد[5].

فكان أشهرها في الشارع الأعظم المسمّى شارع السريجة، الذي ضمّ السوق الرئيسي, والأسواق والحوانيت على يمينه ويساره, ثم تتفرع منه الطرق المتشعبة, وفيها مواقع الرطابين, وسوق الرقيق، وسائر التجارات والصناعات، ثم يلي ذلك أسواق أصحاب البياعات الدنيّة، وجعل مجلس الشرطة والحبس الكبير بالقرب منها؛ لمتابعة المشاكل التي تكثر في الأسواق، وبنيت القطائع والمنازل في الجانب الأخر[6].

كذلك شهدت مدن أخرى مهمة بناء أسواق خلّدها لنا التاريخ, منها مدينة الموصل: فكان أوّل سوق بني في العهد العباسي في الموصل على عهد الخليفة المهدي، وعندما أراد الخليفة توسيع المسجد زاد عليه الضفاف الدائرة, وكانت عبارة عن مجموعة أسواق وحوانيت, وقد شملت هذه الزيادة الأسواق القريبة من السوق المركزي في الداخل, وسوق البزازين, وسوق أو درب السراجين، فضلاً عن سوق السقط، وكانت هذه الأسواق مع قلتها تجذب المشترين والتجار[7].

وقد عرفت أسواق الموصل ما يسمى بـ (القياسر) ومفردها قيسرية, وهي مجموعة من الدكاكين, ولها باب واحد[8]، ويبدو أنّ من الأشياء المهمة، التي كانت موجودة في أسواق الموصل أنّها كانت موزّعة بشكلّ منظم, فكلّ سوق يضمّ نوعاً خاصاً من البضائع[9].

وعلى الرغم من التنظيم الجيد لأسواق الموصل إلّا أنّه من المآخذ التي تؤخذ على هذه الأسواق هو قربها من دجلة، وقد كان السوق المعروف بـ (سوق الاربعاء) يتعرض كثيراً للفيضانات حتى أنّ المياه تدخل الى هذا السوق, والى عدد من الأسواق الأخرى[10].

---

(1) الحموي، معجم البلدان, ج 3, ص287.

(2) سوق الثلاثاء: سوق ببغداد, وسمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل كلوذاي, وكان يعقد في كلّ شهر مرة في يوم الثلاثاء, فنسب الى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق. اليعقوبي، البلدان، ص37 ؛ابن الفقيه الهمذاني,بغداد مدينة السلام,ص58؛ الخطيب الموصلي, غاية المرام ,ص30.

(3) ريسلر، الحضارة العربية، ص99– ص100.

(4) لسترانج , غي، بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: بشير فرنسيس, ص122.

(5) اليعقوبي, البلدان، ص58.

(6) اليعقوبي،المصدر نفسه, ص61.

(7) الازدي، تاريخ الموصل، 248.

(8) الديوه جي: سعيد، الموصل في العهد الاتابكي, ج1, ص43.

(9) الأزدي، تاريخ الموصل، ص166– ص167.

(10) ابن الاثير، الكامل , ج 7, ص35 .

خاتمة البحث

يتضح من خلال دراسة مظاهر التطور العمراني في العراق خلال العصر العباسي الأول أن الدولة العباسية أدركت مبكراً أهمية التخطيط الحضري في دعم الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي. فقد أسهم إنشاء الجسور في ربط أجزاء المدن وتسهيل حركة السكان والجند والتجارة، كما مثّلت البيمارستانات نقلة نوعية في تاريخ الطب الإسلامي، إذ جمعت بين العلاج والتعليم وأسهمت في تخريج أطباء مهرة. أما الأسواق فقد شهدت تنظيماً إدارياً دقيقاً يعكس تطور مؤسسات الدولة واهتمامها بضبط النشاط الاقتصادي.

وتكشف هذه المظاهر مجتمعة عن رؤية حضارية متقدمة لدى الخلفاء العباسيين، جعلت من بغداد وسامراء والموصل مراكز حضارية مزدهرة. وبذلك يمكن القول إن التطور العمراني في العصر العباسي الأول كان أحد أهم ركائز النهضة الحضارية الإسلامية، وأسهم في ترسيخ مكانة الدولة العباسية بوصفها قوة سياسية وحضارية عالمية.

أهم الاستنتاجات

1. ارتبط التطور العمراني في العصر العباسي بالاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي.
2. أسهمت الجسور في تعزيز الاتصال الحضري والعسكري والتجاري بين أجزاء المدن.
3. مثّلت البيمارستانات مؤسسات صحية وتعليمية متقدمة وأسهمت في تطور الطب الإسلامي.
4. شهدت الأسواق تنظيماً إدارياً واقتصادياً متطوراً يعكس كفاءة الإدارة العباسية.
5. امتد التطور العمراني من بغداد إلى سامراء والموصل ومدن أخرى، مما يدل على شمولية النهضة العمرانية.مظاهر التطور العمراني في العراق خلال العصر العباسي الاول: